عدد خاص

الهنود في الحجاز 1840-1882م

إعداد

أ.د/ محمد محمود محمود حمد الدوداني
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب جامعة دمياط

عدد مهداه أبحاثه لروح أ.د.أحمد عبد العزيز

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور
العدد الرابع و الستون - يناير -الجزء الرابع - لسنة 2025

الهنود في الحجاز 1840- 1882م

أ.د/ محمد محمود محمود حمد الدوداني

الملخص

تعد الجالية الهندية في الحجاز من أكبر الجاليات هناك إبان القرن التاسع عشر ولقد انقسمت بين التجار والفقراء المعوزين فالأولى قد هيمنت على التجارة في مدن الحجاز الرئيسة جدة ومكة والمدينة، معتمدة على السلع الهندية كمصدر أساسي للسلع التي تتاجر فيها وانتشرت المحلات التي يمتلكها الهنود في جدة ومكة والمدينة إلى الحد الذي ذكره البعض بان خمسين في المية من تجارة الحجاز كانت في أيدي التجار الهنود.

ولما تضاربت المصالح التجارية بين بريطانيا والهنود في الحجاز وتأثر التجار الهنود باستبدال بريطانيا السفن البخارية مكان السفن الشراعية التي كان يمتلكونها وكذا اصرار بريطانيا على محاربة تجارة الرقيق التي عمل بها بعض التجار الهنود في جدة وفوق هذا وذاك الأعمال التعسفية التي مارستها بريطانيا تجاه ثورة الهند 1857 – 1858م؛ شارك تجار جدة من الهنود في أعمال العنف ضد الأجانب في جدة في عام 1858م والتي أطلقت عليها المصادر العربية بفتنة جدة والأجنبية بمذبحة جدة .

أما الفقراء المعوزين فقد دأبوا على الذهاب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج دون أن يمتلكوا الأموال لعودتهم إلى الهند، ولما ارتبطت الهند بالأوبئة وخاصة الكوليرا نقل هؤلاء المعوزين هذا الوباء إلى الحجاز في غياب مساكن تأويهم وكذا غياب أنظمة الصرف الصحي الأمر الذي كان سببا في فاجعة وباء عام 1865م مما جعل الدول الكبرى تطلب من بريطانيا بضرورة التدخل من أجل الحد من حج الفقراء المعوزين وضمان عودتهم للهند.

الكلمات المفتاحية: الحجاز، الهنود، التجارة، الحج، فرج يسر.

Indians in Hijaz 1840 – 1882

Abstract

The Indian community in Hijaz was considered one of the largest communities there during the nineteenth century, and it was divided between merchants and the needy poor. The former dominated trade in the main cities of Hijaz, Jeddah, Mecca, and Medina, relying on Indian goods as a primary source of the goods they traded, and shops owned by Indians spread in Jeddah and Mecca. And the city to the extent that some mentioned that fifty percent of the Hijaz trade was in the hands of Indian merchants.

When commercial interests conflicted between Britain and the Indians in the Hijaz, and Indian merchants were affected by Britain replacing steamships in place of sailing ships that they owned, as well as Britain's insistence on fighting the slave trade in which some Indian merchants worked in Jeddah, and on top of this and that, the arbitrary actions that Britain practiced towards the Indian Revolution of 1857 - 1858 AD; Jeddah's Indian merchants participated in acts of violence against foreigners in Jeddah in 1858 AD, which Arab sources called the Jeddah Sedition and foreign sources called the Jeddah Massacre.

As for the needy poor, they used to go to Hijaz to perform the Hajj without having the money to return to India. When India was associated with epidemics, especially cholera, these needy people transported this epidemic to Hijaz in the absence of housing to shelter them, as well as the absence of sewage systems, which was the cause of a general epidemic tragedy. 1865 AD, which made the major powers ask Britain to intervene in order to limit the pilgrimage of the needy poor and ensure their return to India.

Keywords: Hijaz, Indians, trade, Hajj, Faraj Yusser.

مقدمة:

شهد القرن التاسع عشر الميلادي تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية في الهند، أدت إلى تدفق الهنود المسلمين إلى إقليم الحجاز كان أبرزها: الفتاوي المتنوعة لرجال الدين الإسلامي بالجهاد ضد الاحتلال الإنجليزي، بالإضافة إلى تطور وسائل النقل والمواصلات بظهور السفن البخارية، وفوق كل ذلك تتوق الهنود إلى الحج، ومجاورة الحرمين الشريفين، دفعت هذه التحولات الهنود المسلمين للبحث عن ملاذ آمن، ولما كانت الحجاز حصن الإسلام وملجأ المعوذين منهم، تدفق الهنود المسلمون على الحجاز كحجاج من ناحية، ومستقر لبعضهم من ناحية أخرى، فاستوطنوا مدن الحجاز الرئيسة (جدة ومكة والمدينة) وعملوا في الأنشطة الرئيسة هناك وعلى رأسها التجارة، وشكلوا أكبر جالية أجنبية في الحجاز، وكان لوجدهم أثر بالغ على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بها.

ومن ثم تحاول هذه الدراسة الإجابة على عدة تساؤلات منها

- هل وفرت مدن الحجاز ملاذًا آمنًا حتى يستوطن الهنود المسلمون بها؟
- ما أهم الأنشطة التي مارسها المسلمون الهنود في الحجاز؟
- هل كانت فتنة جدة 1858وما صاحبها من مقتل بعض المسيحيين في جدة رد فعل لثورة الهند 1857-1858م؟
- هل ارتبطت الأوبئة وبخاصة الكوليرا بالحجاج الهنود الذين وفدوا إلى الحجاز لقضاء فريضة الحج؟

وتم تقسيم هذه الدراسة الى أربعة عناصر رئيسة:

يدور العنصر الأول حول الأنشطة الاقتصادية التي كان يمارسها الهنود في إقليم الحجاز، ويتعرض العنصر الثاني إلى مشاركة الهنود في الحجاز في الأعمال المجتمعية المختلفة، ويدور العنصر الثالث حول فتنة جدة وعلاقتها بثورة الهند 1857-1858م، ويناقش العنصر الرابع علاقة الحجاج الهنود بالأوبئة وموقف بريطانيا من ذلك مرورا بإقامة الفقراء المعوزين من الهنود في الحجاز.

وقد اعتمدت هذه الدراسة الوثائق البريطانية وكذا كتب الرحلات والعديد من المراجع الأجنبية والعربية التي فسرت جوانب مهمة من هذه الدراسة بالإضافة إلى بعض الدوريات المعاصرة.

والله ولي التوفيق

1- النشاط الاقتصادي للهنود

اعتلى الهنود في الحجاز طوال القرن التاسع عشر قمة النشاط الاقتصادي لا سيما التجارة معتمدين الهند مصدرًا مهمًا للسلع الرئيسة التي تقوم عليها التجارة في مدن الحجاز الرئيسة وبخاصة جدة ومكة.

كما ارتبطت الهند بالحجاز بعلاقة قوية، فقد كان أداء فريضة الحج عند جميع المسلمين أملٌ يتطلع كل مسلمٍ ومسلمة إلى تحقيقه ، وانطلاقًا من هذه الرؤية كان المسلمون في الهند يسعون إلى تحقيق هذه الغاية، حتى أصبحت الهند منذ العقد الأول من القرن الرابع عشر الميلادي فصاعدًا في مقدمة البلاد التي كانت تهتم بشئون الحج والحجاج من داخل الهند وخارجها القادمين من بلدان جنوب شرق أسيا، كما كانت (الهند) بصفة خاصة مصدرا للتجارة مع جدة التي تمد مكة والمدينة وغيرها في الحجاز وخارجها بالسلع التجارية [1].

وخلال القرن التاسع عشر ازداد توافد الهنود إلى الحجاز، وذلك لعدة أسباب، من أبرزها: فتوى أصدرها العالم الهندي عبد العزيز الدهلوي عام 1803م بأنَّ الهند دار حرب لا دار سلام، وعلى المسلمين أن يهبوا للجهاد ضد المحتل الإنجليزي، فأثار ذلك عموم الشعب وعلى رأسهم العلماء فكان عليهم أن يجاهدوا ضد الإنجليز لتحرير بلادهم من ناحية، وأن يجدوا لهم ملاذًا آمنًا للهروب من بطش الإنجليز [2] ومتنفساً خارج الهند، فكانت الحجاز بالنسبة لهم الملاذ الآمن، ومن ناحية أخرى ظهور السفن البخارية واستخدامها في التنقل بين الهند والحجاز، فقد يسرت تلك السفن السبيل أمام الهنود للوصل إلى الحجاز [3].

وعلى إثر ذلك تزايدت أعداد الهنود المقيمين في جدة ومكة والمدينة بشكل لافت للنظر، فعلى سبيل المثال ذكر بوركهارت في عام 1814 أن هناك مائة عائلة هندية كانوا يعيشون في جدة[4]، ووصل عددهم في نهاية القرن التاسع عشر إلى 300 عائلة[5]،

---

(1) للمزيد من التفاصيل راجع/ محمد محمود حمد الدوداني، وحسام السيد ذكي شلبي،: العلاقات السعودية الهندية1947 – 2005م، دار طوروس الكويت، 2021م ص ص20–23.

(2) صابرين حسن علي باجمعان: الدور الاقتصادي للهنود في مكة المكرمة 1803–1924م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 2022م، ص ص14–15.

(3) Slight, John, The British Empire and the Hajj 1865–1956, USA , 2015, pp 66 – 67.

(4) جون لويس بوركهات: رحلات في شبه جزيرة العرب، ترجمة: عبد العزيز الهلابي، عبد الرحمن الشيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م، ص14.

وتشير المصادر المعاصرة إلى أنَّ تعدد الهنود في جدة وحدها في عام 1854م بلغ قرابة الف وخمسمائة من إجمالي عدد سكانها الذي يتراوح ما بين خمسة عشر وعشرين ألف نسمة[6]، كما بلغ عدد الهنود المقيمين في مكة أيضا اثنى عشر ألفًا في نهاية القرن عينة من إجمالي سكانها البالغ مائة وخمسون الف "وربما يكون هذا أثناء موسم الحج"[7] كما أقام بعضهم في المدينة المنورة ولكن بنسبة أقل من جدة ومكة.

وعليه يمكن القول: إن الأعداد التي ورد ذكرها كانت إحصاءات غير دقيقة قدمها رحالة أجانب في فترات مختلفة لكن ينقصها الدقة، وفي الوقت نفسه لم يقف البحث على أية إحصاءات رسمية، ولكن تبين من ذلك كله أن الهنود في الحجاز كانوا يمثلون أكبر جالية أجنبية تقيم في الحجاز.

وعلى أية حال، فقد فضل الهنود المسلمون الحجاز للإقامة بها؛ نظرا لوجود الأماكن المقدسة هناك إلى جانب فرار معظمهم من الاستبداد التي كانت تمارسه شركة الهند الشرقية البريطانية تجاه هؤلاء في الهند[8]، بالإضافة الى أن الهنود وبخاصة البرجوازية التجارية منهم وجدوا في الحجاز وبخاصة جدة مناخا جيدا استطاعوا من خلاله تحقيق مكانة اقتصادية واجتماعية، فلوحظ أثناء فترة الدراسة أن العائلات الهندية التي استوطنت الحجاز كانت تمثل جوهر النشاط الاقتصادي، فيذكر البعض أن أكثر من 50% من العمليات التجارية في الحجاز وخاصة جدة ومكة كانت في إيدي التجار الهنود مما كان سببًا في جذب الهنود المسلمين اليها[9]. وقد توزع الهنود في المدن الرئيسة للحجاز، جدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة.

أما الهنود في جدة: فنظراً لأهمية ميناءها في حركة التجارة في البحر الأحمر وداخل الجزيرة العربية، وخاصة الحجاز، أصبح سوق جدة أهم أسواق المنتجات

---

(5) Riedler, Florian, Fuhrmann ,Malte, Lafi ,Nora i, Lafi Ulrike, Freitag , The City in the Ottoman Empire Migration and the Making of Urban Modernity , New York , 2010,p 218.

(6) شارل دييه: رحلة الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي 1854م، ترجمة: محمد خير البقاعيي، دار الفيصل الثقافية، الرياض،2001م، ص175.

(7) باجمعان، الدور، ص 59.

(8) باجمعان، الدور، ص 59

(9) Riedler, The City, p218.

الهندية[10]، وقد تحدث "بيركهارت" عن هذه التجارة خلال زيارته لجدة عام 1814م، فذكر أن التجارة في بضائع الهند أكثر أمانًا وربحًا لتجار جدة فكانت البضائع الهندية تأتي إلى جدة في شهر مايو من كل عام، ومنها تنقل إلى أسواق مكة والمدينة [11].

ولما اعتمد التجار الهنود في جدة على منتجات الهند بالدرجة الأولى لتمد أسواق الحجاز جميعها بتلك المنتجات وتوزيع الفائض منها إلى خارج الحجاز سواء أكانت داخل الجزيرة العربية في نجد أم خارجها في الشام ومصر[12] ، وفي هذا السياق يصف بوركهارت الوضع التجاري لمدينة جدة قائلا : " إنَّ هذه المدينة لا تستمد ثراءها من كونها ميناء مكة فحسب ، بل يمكن اعتبارها ميناء لمصر والهند والجزيرة العربية، فكل صادرات هذه البلدان إلى مصر تمرُّ أولاً على أيدي تجار جدة[13]، ويشير الرحالة مايكل بيرسون إلى نظرة المؤرخ الهندي آشين داس جوبتا Ashin Das Gupta في العلاقة بين جدة والهند؛ بأن نصف أرباح التجارة الكجراتية تأتي من موسم الحج، أما (جوبتا) فيرى أنَّ أهمية الحج تعود إلى نمو السوق الكبرى لتجار المحيط، كما أشار إلى الدور الكبير الذي تقوم به جدة، حيث وصفها بنقطة ارتكاز لتجارة البحر الأحمر، ويعلل ذلك ليس لكونها مرسى مناسبا للرسو – نتيجة لصعوبات والعقبات الطبيعية كالشعب المرجانية، والمناخية وغيرها – بل لأن نقل البضائع فيها تشكل ضرورة خاصة بكونها منفذا لتموين مدن أخرى[14].

---

(10) لمزيد من التفاصيل حول السلع الهندية القادمة إلى جدة ونقلها إلى البلدان المجاورة وإنعكاسها على التجار ؛ راجع/ سعد عبدالرحمن العرابي: جدة في كتابات رحالة غربيين في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز – الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد 20 ، العدد 1، 2012،ص 27.

(11) بوركهارت: رحلات، ص ص24–26.

(12) Freitag, Ulrike , A History of Jeddah The Gate to Mecca in the Nineteenth and Twentieth Centuries ,UK, 2020 , p.49.

(13) بوركهات: رحلات، ص ص15–16.

(14) نورا إبراهيم النامي: أثر النشاط التجاري على البيوت التجارية بجدة وعوامل استمرارها خلال الفترة الزمنية (١٢٥٦_ 1335 هـ / 1840_1916م)، كلية دار العلوم – جامعة المنيا مجلة الدراسات العربية كلية دار العوم جامعة المنيا،2020، ص 1450.

عمل تجار جدة من الهنود على توطيد العلاقات التجارية مع موطنهم الأم فأسسوا الوكالة التجارية في بومباي[15] حيث نجحوا في تصدير المنتجات الحجازية وغيرها، مثل: التمور واللؤلؤ والخيول العربية وغيرها[16].

في المقابل لاقت السلع الهندية رواجًا منقطع النظير في أسواق الحجاز طوال العام مثل: الشاش الناعم، وشالات الكشمير، وغيرها من الأقمشة الخشنة والناعمة، والنيلي، وخشب الساج، وزيت جوز الهند، والفلفل، والزنجبيل، والكركم، والحناء والمرجان والأحجار الكريمة والحصير الناعم والخشن من سعف النخيل، والمصنوعات العاجية، والعديد من السلع الهندية الفاخرة، كل هذه الأشياء يشتريها التجار الهنود الأثرياء الذين استقروا في جدة، ويدفع ثمنها بالدولار الإسباني[17].

فضلا عن السلع الغذائية مثل: الأرز والسكر والشاي القمح والدقيق وغيرها[18]، وبلغت واردات الحجاز من الهند ذروتها في الأعوام 1885-1892م؛ إذ بلغت ما يزيد عن نصف واردات الحجاز [19].

كانت السلع الهندية لها النصيب الأكبر في سوق جدة (الشارع الرئيسي) وكانت الحبوب ومنها القمح والشعير والفول والذرة والعدس والأرز الهندي وغيرها فكانت تباع من خلال أحد عشر دكانًا كانت معظمها مملوكة للهنود، أو يعملون بها وكانت هذه السلع مفضلة لمعظم سكان جدة، كما كان الشارع الرئيس يضم ثمانية عشر عطارًا كبيرًا،

---

(15) أسس التاجر الهندي يوسف بتاجي المقيم بجدة وهو من كبار تجار البن عام ١٨٣٦ م وكالة في جدة لتسهيل العمليات التجارية بين مكة وغيرها، وكانت له وكالة بالقاهرة، وعلاقات مع الشركة الإنجليزية بواسطة ممثلها (يوسف الأرمني)، والتي أنشأت لها وكالة في جدة عام ١٨٣٠م، وتعمل في نقل البضائع من جدة الى موانئ الهند والموانئ المصرية". وعد التاجر (يوسف الأرمني) وكيلا للشركة الإنجليزية، وله وكالة في بومباي عام ١٨٣٠م، وكان يرسل بعض منتجات الحجاز الى التجار الهنود في بومباي، وهو الذي تولى إنشاء وكالة لال زينل في الهند. النامي: أثر النشاط، ص1433.

(16) عبد المالك خلف التميمي: الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، سلسة عالم المعرفة (71)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1983، ص ص31-38.

(17) Blue L., Cooper J., Ross T., and Whitewright. J. (eds.), Connected Hinterlands: Proceedings of Red Sea Project IV; Held at the University of Southampton, September 2008, Society for Arabian Studies Monographs (London: Archaeopress, 2009),Jiddah: Port of Makkah, Gateway of the India Trade), p175.

(18)Illustrated London News (London, England): 24 July 1858, p.1.

(19) باجمعان، الدور، ص54.

وجميعهم كانوا من بلاد جزر الهند الشرقية، ويبيعون أيضًا الشمع والورق والسكر والعطور والبخور، وكان السكر يأتي جدة من الهند ومصر، ويضيف البعض أن العطارين الهنود كانوا جميعا من الأثرياء، وبالرغم من إقامتهم في الحجاز إلا أنهم يتخاطبون فيما بينهم باللغة الهندية كما وجد في الشارع الرئيس محلات الأقمشة، والنحاسيات، وقد بلغ عددهم اثنا عشر دكانًا لبيع الأشياء الصغيرة من المصنوعات الهندية (مثل الأواني والسبح والمرايا وورق اللعب والمعالق الخشبية ورؤوس الشيش وغيرها من الخرز والسكاكين والإبر، والمقصات، والمبارد). كما احتوى الشارع الرئيس على ستة دكاكين كبيرة لبيع الملابس المختلفة و الأقمشة الهندوسية، والشالات الكشميرية وغيرها، والتي كانت تباع صباح كل يوم من خلال المزاد العلني[20] . كما كان هناك خمسة دكاكين لبيع الحلويات وأصناف أخرى من الحلوى المفضلة لأهل الحجاز، وكان الهنود من أفضل صناعها[21].

بقيت المحلات التي يمتلك بعضها أثرياء الهنود في جدة أو العاملين منهم فيها مليئة بالسلع والمنتجات الهندية التي تباع في أسواق جدة، وغيرها من مدن الحجاز حتى نهاية الشطر الأول من العقد السادس من القرن التاسع عشر وبعدها حتى نهاية فترة الدراسة[22].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الروبية الهندية احتلت مكانة مهمة في أسواق الحجاز؛ وذلك نظرًا لدورها المهم في تجارة الإقليم، حيث يذكر أنه خلال فترة الدراسة قد نقلت أربع شحنات من الروبية الفضية إلى الحجاز حيث إنها تعد القيمة الثابتة للعملة وقتئذ؛ وذلك لتقلب بعض العملات الأخرى مثل تقلبات دولار ماريا تريزا، الخسائر التي تم تكبدها جراء انخفاض سعر الفضة وكانت الروبية الهندية في نهاية موسم الحج تساوي (14,5قرَشا)، ومن العملات التي كانت متداولة بصورة كبيرة ليس في أسواق جدة فقط وإنما في الحجاز عامة[23].

كما قام تجار جدة من الهنود بأعمال تجارية جيدة مع كل من التجار المكيين وأولئك الحجاج الباحثين ليس فقط ع ن القوت والسكن، ولكن أيضًا عن الهدايا التذكارية.

---

(20) بوركهات: رحلات، ص ص40–42.

(21) بوركهات: رحلات، ص ص39–40.

(22) ديدييه: رحلة، ص177.

(23) أحمد محمد يوسف: النقود المتداولة في مكة المكرمة في العصر العثماني حتى نهاية القرن 12هـ/18م، كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز لدراسات تاريخ مكة المكرمة، مكة المكرمة، 1436هـ، ص85.

وكميات صغيرة من البضائع لأخذها معهم الى المنزل. وقد أسهم هذا النوع من التجارة في اقتصاد جدة، حيث لم تكن هذه البضائع تأتي من الحجاج الآخرين بل من التجارة الهندية وغيرها[24].

لم تكن جدة تستوعب التجار الهنود المسلمين فقط، وإنما كان هناك تجار هندوس المعروفين باسم البنيان، وهؤلاء لم يستقروا بها بل عملوا في التجارة الخارجية بين بومباي وجدة في أشهر معينة من العام وفي هذا السياق أشار روشيه دي هيريكورت في عام 1842 إلى أن التجارة الخارجية في جدة، تمامًا كما هو الحال في الحديدة والعليا وسواكن والموكا، كان يمثلها "التجار الهندوس المعروفون باسم بانيان"، كما لاحظ هاملتون أن أغنى تجار جدة من الهنود، وتجري تجارة جدة بأكملها تقريبًا" في أيدي الرعايا البريطانيين من الهنود في وجود تجار مسلمين وغيرهم آخرين[25].

وقد أسهمت تجارة جدة في استقرار العديد من الهنود الذين تمكنوا من اكتساب ثروات طائلة وصلت إلى ما يقرب من مئة وخمسين إلى مائتي ألف جنيه إسترليني[26]، وعملوا في مختلف الأنشطة الاقتصادية، وبخاصة التجارة وأعما ل الشحن والأعمال المصرفية[27]، وكان من أشهرهم التاجر فرج يسر، وهو هندي مسلم، كان كبير التجار في جدة وربما أغنى التجار هناك، برأس مال قدره بين 132000 الى 165000 ليرة تركية[28]، وكان مصرفيًا لولاية الحجاز، وكان على علاقة جيدة مع البريطانيين، وأوردت بعض المصادر أنَّه عمل نائبا للقنصل البريطاني[29].

وقد حقق فرج يسر من أعمال التجارة والصرافة أرباحاً طائلة، فيذكر أنه بالاشتراك مع تاجر محلي آخر اسمه سالم سلطان أقرضا السلطة العثمانية في إقليم الحجاز (8000) ليرة تركية في بين عامي 1853 و1855م، كما قدم يسر أكثر (21500) ليرة تركية إلى الوالي لدفع مرتبات الجنود والنفقات العسكرية على أن يتم سدادها من قبل إسطنبول في عام 1855–1856م، وفي إسطنبول يقال: إن وكلاء يسر قدموا رشوة لوزير الخزانة

---

(24) Blue, L., J. Cooper, T. Ross, and J. Whitewright (eds.), Op. Cit., p170.

(25)Freitag,; A History p.49.

(26) بوركهات: رحلات، ص24.

(27) Slight, The British , 63- 67.

(28) (1 ليرة = 100 غروش و40 بارة = 1 قرش).

(29) Richard, Burton: Personal Narrative of A Pilgrimage to AL-Madinah & Meccah, Vol. 1, London, p.47.

للموافقة على شروط الإقراض التي كان يقدمه يسر، وكانت الربحية في معظم القروض عالية كانت نسبة 5% هي الحد الأدنى المتوقع للفوائد[30].

وفي عام 1857م تم اختياره رئيسًا للتجار (باش التجار) في جدة، لكن تم توجيه عريضة من تجار جدة لحاكم الحجاز (المشير محمد أمين نامق باشا) لإيصالها لإسطنبول بالاعتراض على تعيينه، إذ كان هذا التعيين قد أثار غضب التجار المحليين الذين يتهمون فرج يسر بمتابعة مصالحه الخاصة فقط والتسبب في نشوء الخلافات بين التجار والبائعين من رعايا الدولة العثمانية والدول الأجنبية، وبعد هذا الاحتجاج الذي كان تحت ضغط من التجار، تم إلغاء تعيينه[31].

كما كان يمتلك أسطولاً من السفن الشراعية تسافر من ميناء جدة تحمل صررًا من الذهب إلى بيوت التصدير في الهند، وتعود محملة بما يحتاجه الحجاز كله بل وغير الحجاز من أنواع البضائع، ومن شدة ثرائه قالوا: إنه احتفل بزواج ابنه فأوقد المصابيح في مائة سفينة في ميناء جدة، فكانت مظاهرة بحرية لم تشهدها المدينة في تاريخها[32].

أما الهنود في مكة المكرمة:

فلما كانت جدة الميناء التي يستقبل الصادرات الى الحجاز أصبحت ـ بدورها ـ تمد مكة بأسواقها العديدة بتلك الواردات ولما كانت الجالية الهندية تمثل أكبر الجاليات الأجنبية بها، فقد مارس الهنود مختلف الأنشطة التجارية والاقتصادية في مكة، فانتشرت المحلات التجارية للهنود في معظم أسواق مكة، ففي سوق سويقة أو السوق الصغير كان التجار الهنود يعرضون سلعهم للبيع من شالات كشميرية وخشب الالوة أو الصبار والزباد وهو من أنواع الطيب، بالإضافة إلى الصناعات المعدنية المزخرفة، مثل أدوات القهوة والأباريق التي كانت ترد من الهند كما كانت تباع في متاجر أخرى عقود المرجان واللؤلؤ المزيف والسبحات المصنوعة من خشب الألوة والصندل والعقود اللامعة المصنوعة من العقيق

([30]) الرجل الثري فرج يسر وأحداث مجزرة المسيحيين، مقال منشور بتاريخ 18 يناير 2016م، متاح في:
http://historicjeddahbybassimarkook.blogspot.com/2016/01/blog-post_18.html

([31]) Pétriat, Philippe. "Notables et rebelles. Les grands marchands hadramis de Djedda au milieu du xixe siècle." Arabian Humanities, International Journal of Archaeology and Social Sciences in the Arabian Peninsula, 1, 2013, https://journals.openedition.org/cy/1923 .

(32) محمد علي مغربي: أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة 1883–1980م، ج3، دار تهامة، المملكة العربية السعودية، د.ت، ص ص431–432.

الأحمر والعقيق المعد للأختام وتلك المتاجر كلها يديرها الهنود، وسلعهم كلها صناعة هندية وإنتاج هندي، ويعدُّ هذا السوق من أكثر الأسواق اكتظاظًا بالهنود في القرن التاسع عشر؛ لأن الطبقة الفقيرة منهم كانت تسكن فيه(33)، كما كان يوجد السوق الهندي، وهو سوق خاص بالمنتجات الهندية مثل الخوخ والبطيخ والشمام(34). كما يوجد في سوق السويقة عشرون دكانًا تباع فيها البضائع الهندية، مثل: الزيوت والعطور، والبلسم، وطيب العود(35)، وعقود المرجان، وحبات اللؤلؤ المزيفة، والمسابح، وخواتم وعقود العقيق الأحمر ومن أشهر أصحاب دكاكين الأقمشة والتجار بسوق سويقة من ذوي الأصول الهندية مثل بيت البوقرية وبيت السندي، وبيت الدهلوية وكانت دكاكين الدهلوية في سويقة لبيع الحنابل، والعطور وأواني الكولندي والأقمشة والساعات، وبيت البشاوري، والعطار، وبيت الجستنية، وبيت قربان(36).

كما كان هناك سوق يسمى سوق اللولى وسوق الجودرية والمدعي، كل هذه الأسواق كانت مكتظة بالبضائع الهندية، مثل الأقمشة والمنسوجات والمجوهرات المختلفة وغيرها، ويمتلك الهنود المسلمون معظم خاناتها ومحلاتها كما أن العاملين بها كانوا من الرعايا الهنود الذين استقروا بمكة أو من الذين قدموا اليها قبل موسم الحج (37) كما كان بعض الحجاج الهنود يجلبون معهم بعض البضائع والمنتجات المتعددة التي تزخر بها منطقتهم لأجل تبادلها في أثناء الرحلة، وبيعها في سوق مكة، ويساعدهم ذلك على دعم نفقاتهم واحتياجاتهم في أثناء الحج(38).

أمَّا كبار التجار الهنود فكانوا يمتلكون منازل في الشوارع الفرعية في "المدعي"؛ حيث يستقبلون الزبائن لأنهم أكثر كبرياء من أن يفتحوا متاجر عامة أو مخازن، وذكر "بيركهارت" أنه كان هناك رجلًا هنديًا من هذا الحي، وهو في الأصل من سورات ويدعي

(33) بيركهارت: رحلات، ص ص98-99.
(34) باجمعان: الدور، ص61.
(35) بيركهارت: رحلات، ص ص98-99.
(36) باجمعان: الدور، ص ص60-61.
(37) بيركهارت: رحلات، ص ص98-99.
(38) Riedler, The City, p 223.

"الشامسي" وكان يعدُّ من أغنى تجار الحجاز ويمتلك عدة مئات من ألوف الجنيهات الإسترلينية[39].

كما اعتادت الطبقة الفقيرة من الهنود المقيمين في مكة خلال موسم الحج تأجير منازلهم، والتي تقع غالبيتها في حي المسفلة الواقع في الجانبين الشرقي والغربي من السوق الصغير[40]، واجه أثرياء الهنود مشكلة حيازة الأرض وملكيتها في مدن الحجاز وبخاصة في مكة والمدينة، فقد حرص معظمهم على امتلاك هذه الأراضي لرغبتهم في العيش بالقرب من الأماكن المقدسة، ولقد استثنى تشريع عام 1867 الحجاز الذي يحرم امتلاك الأجانب للأراضي المختلفة بحكم وجود مكة والمدينة به.

ولكن في عام 1878، أصدر السلطان عبد الحميد الثاني (1876 – 1909م) مرسومًا يحظر ملكية الأجانب للعقارات في الحجاز، وتم إبلاغ القنصليات الأجنبية به.

في ديسمبر 1881، أكد الشريف عبد المطلب وأهل الحجاز معًا في رسالة إلى السلطان أن الهنود والجاويين اشتروا الأراضي في الماضي، لكن هذه الممارسة توقفت بسبب المرسوم الذي يحظر هذه الممارسة، وقد أصدرت الدولة العثمانية هذا التشريع بقصد عدم إتاحة الفرص للدول الأجنبية للتدخل في شئون الحجاز من أجل الحفاظ على ممتلكات رعاياها من المسلمين في الحجاز، ولقد تضرر الأثرياء من الهنود المقيمين في مكة والمدينة من هذا التشريع .

أما الطبقة الدنيا من الهنود المقيمين في مكة فقد عمل بعضهم في بعض الحرف اليدوية، كالحدادة وصناعة الفضة والسجاد، وفيما يخص الصناعات والحرف الخشبية فقد كان يتأخر بعض النجارين الهنود في مكة بعد انتهاء موسم الحج لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر، يمارسون خلالها حرفة النجارة، وغيرها من الحرف[41].

أما عن الهنود في المدينة المنورة: فكانت أعدادهم أقل مقارنة بأعداد الهنود في جدة ومكة وفي الوقت نفسه لم تكن الأنشطة التي كان يمارسها الهنود في المدينة أقل من

(39) عبد الله أبكر: صور من تراث مكة المكرمة في القرن الرابع عشر الهجري، دار المنار للطبع والنشر، د.م، 2004م، ص252.

(40) بيركهارت: رحلات، ص98.

(41) باجمعان، الدور ، ص68.

نظيرتها في جدة ومكة، فقد غزت السلع الهندية القادمة من جدة المدينة، ووجدت موضعا لها هناك بين السلع الأخرى فكانت محور نشاط الهنود هناك(42).

عزى البعض قلة أعداد الهنود في المدينة إلى أن التجارة في المدينة أقل مما هي عليه في مكة، فالتجارة في المدينة لا تكاد تتعلق إلا بالاستهلاك المنزلي وبتزويد مناطق الجوار بالثياب والمؤن، والتجارة في المدينة هي مجرد تجارة تجزئة(43).

كانت الغالبية العظمى من الهنود من المجاورين، وينقسمون الى قسمين، الأول: الذين هاجروا من ديارهم لأسباب ودوافع دينية، أي الشوق والحنين لمجاورة مدينة رسول الله وقبره، والثاني: هم الذين هاجروا من ديارهم لضيق الحال هناك، وفي المدينة عملوا في المهن والحرف المختلفة كالعمل في محلات البيع والشراء، أو مجال الخدمات العامة، وبعضهم عاش فيها دون مهنة معتمدين على الاتكال، وطلب الحاجة من الآخرين(44).

كما ذكر الرحالة "بيرتون" خلال رحلته إلى المدينة في عام 1853م أن الهنود في المدينة يعملون في العطارة، والعدد الأكبر منهم من أهل السند(45).

ونتج عن ذلك ظهور فئات من التجار الهنود في الحجاز كان لهم إسهامات واضحة في الحياة الاقتصادية، ويمكن تقسيمهم إلى ثلاثة فئات

1-المجاورون: فنتيجة لتميز مكة المكرمة والمدينة المنورة بالمكانة والفضل العظيم، حرص عدد من الهنود على البقاء فيهما رغبة في مجاورة بيت الله الحرام ومسجد رسول الله، ومن ثم اندمجوا في المجتمع وتأثروا به وأثروا فيه، وكانت لهم إسهامات واضحة في الحياة الاقتصادية.

2- الحجاج: كان من بين الحجاج الهنود من يأتي مبكراً قبل الحج بفترة ويجلبون معهم البضائع ويعرضونها للبيع؛ رغبة في الكسب المادي بسبب رواج التجارة في الحجاز في ذلك الوقت من العام.

---

(42) بيركهارت: رحلات، ص311.

(43) بيركهارت: رحلات، ص311.

(44) هشام فوزي عبد العزيز: ملامح من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة 1788م من خلال "الرحلة الهندية الى الجزيرة العربية للمراد آبادي"، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، ع 4، مج2، جامعة طيبة، 2013م، ص ص751-752.

(45) حمزة قاسم: المدينة المنورة في عيون الرحالة الغربيين، مجلة بحوث المدينة المنورة ودراساتها، ع 29، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، يونيو 2009م، ص169.

3- التجار: وينقسموا الى فئتين: الأولي، المقيم في الحجاز بشكل دائم، وهؤلاء يعملون غالبًا في مهن مختلفة، الثانية: التجار الذين يصلون إلى الحجاز في أوقات محددة من السنة خاصة في موسم الحج(46).

2- الهنود والأنشطة المجتمعية:

أسهم الهنود المقيمون في الحجاز في الأعمال المجتمعية شأنهم في ذلك شأن أبناء الإقليم، فلقد أسهم الأثرياء من الهنود في الحياة الاجتماعية والثقافية في مكة المكرمة، من خلال التبرعات المادية والعينية، والأوقاف على الأربطة المخصصة للعلماء وطلبة العلم، منها رباط إسحاق بن محمد أفضل الدهلوي، الذي أوقفه في الفترة ما بين 1842-1845م، ورباط الماس آغا، الذي أوقف في عام 1846م، وكان عبارة عن رباطين أوقفا على فقراء الهنود ومساكينهم الواردين الى مكة المكرمة، ورباط مير واجد حسين الذي أوقف في 1876م، وهو ملحق بالمدرسة الصولتية، وكان مأوى لطلبة العلم في المدرسة(47)،التي أسستها (المدرسة الصلوتية) إحدى السيدات الهندية وتدعى صلوت النساء في عام 1875م وتم ذلك بناء على توصية أحد المشايخ لها بضرورة إنشاء مدرسة ابتغاء مرضاة الله، وقد اعتمدت هذه المدرسة في نفقاتها على المساعدات التي كان يقدمها مسلمي الهند(48).

كما ساعدت الجالية الهندية في مكة في الإنفاق على المدرسة الفخرية العثمانية التي أسسها الشيخ عبد الحق قاري أحد مدرسي المدرسة الصلوتية عام 1879م(49)، كما قام أحد التجار الهنود بإعادة إصلاح وتجديد مسجد أبي قبيس في مكة عام 1858م(50)

---

(46) قاسم، المدينة، ص ص14-16.

(47) باجمعان، الدور، ص ص87-89.

(48) عبد اللطيف عبد الله دهيش: تقرير عن المؤسسات التعليمية في الحجاز في عام (1302هـ - 1884م) دراسة وتحليل، مداولات اللقاء العلمي السنوي لجمعية التاريخ والآثار، رقم المؤتمر (2) جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجي، الرياض، 2000، ص357.

(49)السمو ، بشير حسن حسين ، السياسة العثمانية تجاه ولاية الحجاز في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1293 – 1327 هـ / 1876 – 1909م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة آل البيت ، 2019، ص ؟؟

(50)للمزيد من التفاصيل عن مسجد أبي قبيس، راجع/ آمال رمضان عبد الحميد: الحياة العلمية في مكة (1115هـ - 1334هـ) - (1703م - 1916)، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية عام 2006م، ص247.

ولما انصهر الهنود المقيمون في الحجاز في بوتقة واحدة مع نظرائهم الأجانب والحجازيين حتى أنهم أضحو جزءًا لا يتجزأ من نسيج المجتمع الحجازي إلا أنهم قد استقلوا بزيهم عن غيرهم في هذا الأمر(51).

3- فتنة جدة:

لم تتعرض المصادر المختلفة لمشاركة الهنود المقيمين بالحجاز في أي أنشطة سياسية طوال فترة وجودهم هناك منذ سنوات عديدة باستثناء الدعاية ضد بريطانيا أثناء موسم الحج، ولكن برز لهؤلاء دورٌ مهمٌ في أواخر العقد السادس من القرن التاسع عشر وإن كان بشكل غير مباشر وذلك فيما تعارف عليه فتنة جدة أو مذبحة جدة عام 1858م، والتي كانت رد فعل للإجراءات التعسفية التي مارستها السلطات البريطانية تجاه ثورة الهند 1857 – 1858م والتي أبلى فيها المسلمون الهنود بلاء حسنا، حيث كبدوا القوات البريطانية والمصالح البريطانية خسائر فادحة في الممتلكات والأنفس(52)، مما حدى بالبريطانيين إلى أن ينعتوا المسلمين الهنود بالكلاب سواء في الهند ذاتها أو خارجها(53)،n وهذا يدل على التمييز العرقي الذى كانت تنتهجه بريطانيا تجاه مستعمراتها في الهند، بالإضافة إلى ازدياد سخط الرأي العام البريطاني على الهنود خلال تلك الفترة .

ألقت ثورة الهند 1857- 1858م بظلالها على الرأي العام في الجزيرة العربية وأماكن وجود المسلمين كافة، وفي هذا الصدد ذكر بيرتون أنه" يمكن للشبكات المتقاطعة من الحجاج والتجار والمنفيين أن ترسل بسهولة هزات من المشاعر المعادية لبريطانيا في جميع أنحاء العالم الإسلامي". ويبدو أن أول دليل حقيقي يؤكد هذه النظرية كان اندلاع أعمال عنف ضد المسيحيين في جدة في 15 يونيو 1858(54).

تعود مذبحة جدة وذلك كما وصفتها المصادر الأجنبية إلى الخلاف الذي حدث حول جنسية السفينة إيراني ERANEE التي اشترها التاجر صالح جوهر الذي ينتمي

---

(51) Riedler, The City, p 222.

(52) لمزيد من التفاصيل حول ثورة الهند 1857 – 1858م راجع / إبراهيم عبد المجيد محمد: ثورة الهند 1857 – 1858م، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد7، مايو 1987.

(53) Jeddah, the Scene of the Late Massacre, Illustrated London News: 24 July 1858, pp.79-80

(54) Low, Michael Christopher,; Empire of the Hajj: Pilgrims, Plagues, and Pan-Islam under British Surveillance,1865-1926 , Master Thesis , Georgia State University , 2007 , p83 – 84.

إلى الرعايا الهنود في جدة والذي تحول إلى أحد الرعايا العثمانيين في مجلس التجار الذي كان يحضره الهندي فرج يسر أحد كبار تجار الهنود في جدة[55] وكيل نائب القنصل البريطاني.

الذي استدعى صالح جوهر إلى القنصلية البريطانية في عام ١٨٥٨ م ليفسر سبب إشرافه على الأمور المالية لأبناء أخيه المتوفى، وخوفًا من إجراء مضاد من وكيل نائب القنصل البريطاني، حيث ادَّعى صالح جوهر أنه مواطن عثماني وبذلك حصل على موافقة الوالي نامق باشا بتغيير هوية السفينة إيراني ورفع العلم العثماني عليها بدلا من العلم البريطاني. وفي السادس عشر من يونيو ١٨٥٨ م أرسل بيج نائب القنصل البريطاني للوالي العثماني يخبره أن إيراني مسجلة في أوراق القنصلية البريطانية بجدة وبالتالي فهي ملك لها، ولما كان القانون البريطاني يجيز مصادرة السفينة ذات الهوية البريطانية إذ حاول مالكها تغير هويتها، فإنه سوف يتم الاستيلاء على إيراني من قبل وليم بولن WILLIAM PULLEN قبطان السفينة سيكلوبس وإنزال العلم العثماني ورفع العلم البريطاني عليها والتحفظ عليها تمهيدا لإرسالها إلى نيابة محكمة القيادة البحرية لإصدار حكمهم.

الجدير بالذكر أن التاجر صالح جوهر لم يكن هنديًا فحسب، بل كان أيضًا شخصًا محميًا بريطانيًا، وكان أيضًا تاجرًا مقيمًا في جدة[56]

وفي هذا الصدد كتبت أخبار لندن المصورة: (تعود ملكية السفينة إلى رعايا هنود، ويبدو أن هؤلاء الرعايا غيروا جنسيتهم، وطلبوا الحماية العثمانية، وكان هذا مخالفًا للقانون، وكان الأمر محل خلاف، وتم تقديمه الى المحكمة التي قررت أن السفينة بريطانية وليست عثمانية، لكن بعد ذلك تم إنزال العلم البريطاني ورفع العلم العثماني، واستمر الوضع لمدة يومين بعد تلك المشكلة دون حدوث أي اضطرابات) [57].

بينما تطرح المصادر المحلية الحجازية شيئا أخر للنزاع حول السفينة إيراني، إذ يروي الوالي العثماني نامق باشا أن السفينة رفعت العلم البريطاني بعد أن كانت ترفع العلم العثماني أولا، وأن صالح جوهر تاجر في جدة، وبالتالي مواطنًا عثمانيا، فقد كان

---

(55)سنو ، عبدالرؤوف: تطور الاتجاهات الإسلامية في الدولة العثمانية من التنظيمات حتى نهاية . السلطان عبد الحميد الثاني ، مجلة المنهاج ، السنة : الرابعة، 1996 م ، ص 146.

(56) Riedler, The City, p218.

(57) Jeddah, the Scene, pp.79-80.

إجراء إبراهيم أغا قائمقام[58] جدة صحيحا لكون صالح مواطنًا عثمانيا ويملك نصف السفينة، وبالتالي لهو أمر طبيعي أن تعتبر السفينة عثمانية. ولما تحرى مجلس من أعيان جدة عن أمر السفينة إيراني توصلوا في تقريرهم إلى ما توصل اليه الوالي نفسه، وإن اعترفوا بأن بحوزة صالح جوهر بعض وثائق السفر الأجنبية[59]

وفي السابع عشر من يونيو ١٨٥٨ م علم الأهالي أن رجال البحرية البريطانية قد أنزلوا العلم العثماني عن سارية السفينة إيراني ورفع بدلا منه العلم البريطاني مما رآه المسلمون إهانة لهم، كما تطايرت الشائعات بأن نائب القنصل البريطاني داس على العلم العثماني عند إنزاله من السفينة، فهبوا للدفاع عن العلم العثماني و صاحب السفينة، وفي الحال بعثت السلطات العثمانية المحلية بقائد الشرطة المحتسب عبد الله أغا إلى نائب القنصل البريطاني تطلب منه التوقف عن إتمام مصادرة السفينة حتى لا تسوء الحال وينفجر غضب الأهالي ، ثم توجه قرابة ألفين شخص من الأهالي إلى مقر القنصلية البريطانية بجدة للاحتجاج على حجز السفينة وإنزال العلم العثماني من فوقها، عندها خرج نائب القنصل البريطاني مهددا إياهم وتلفظ بألفاظ نابية[60]، وعلى إثر ذلك اندفعت تلك الجموع لرد إهانة نائب القنصل البريطاني وهاجموه بشدة[61] ‘ثم اندفعوا نحو القنصلية البريطانية والفرنسية يدمرون كل ما فيها ويقتلون كل من يروه من الأوربيين في شوارع وأزقة جدة[62] إزاء ذلك قتل اثنين وعشرين من المسيحيين المقيمين في جدة، وكان

(58) إبراهيم بن عطية الله السلم العماري ، سماح علي عبد الله: فتنة جدة عام 1274 هـ = 1858م: دراسة وثائقية تحليلية مسالك للدراسات الشرعية واللغوية والإنسانية، العد الثامن، 2020سبتمبر / صفر، ص 117.

(59) العماري، وعبد الله: فتنة، ص117.

(60) أحمد بن زينى دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام إلى وقتنا هذا بالتمام، المطبعة الخيرية، مصر، 1305هـ، ص ص321–324

(61) Perth Gazette and Independent Journal of Politics and News (WA : 1848 - 1864): Friday 22 October 1858, p.3;
South Australian Register (Adelaide, SA : 1839 - 1900): Saturday 13 November 1858, p. 2

(62) محمد لبيب البتنوني ، الرحلة الحجازية، مكتبة المعارف، الطائف،(د . ت) ،ص ٧0 .

من بينهم القنصل الفرنسي وزوجته وكذلك نائب القنصل البريطاني[63]، وتمكن آخرون من العثور على ملجأ على متن سفينة البحرية الملكية HMS Cyclops[64].

وقد علقت إحدى المصادر البريطانية على ذلك بأن حاكم المدينة يبدو أنه لم يكن لديه سوى ثمانية جنود، وتمكن هو وأربعة أو خمسة جنود من إنقاذ حياة ابنة القنصل الفرنسي، وبعض المسيحيين، وقام بإيوائهم في منزله، وبعد سماع الأمر أرسل الكابتن "بولن Pullen" بعض الرجال المسلحين إلى الشاطئ لإنقاذ الأوروبيين، ونجح في إنقاذ حياة حوالى 25 شخصًا، ونقلهم بعد ذلك الى السويس[65].

أعطت الحكومة البريطانية ومجلس العموم الضوء الأخضر للقطع البريطانية بضرب مدينة جدة لمدة يومين في السابع عشر من يونيو عام 1858 [66]، ثم عاودت الضرب يوم 26 من نفس الشهر مما اضطر القائم مقام العثماني بتسليم اثنى عشر شخصا نفذ فيهم حكم الإعدام[67]، وقد تم نفي أربعة من المتهمين إلى الهند وإندونيسيا[68] واستانبول وعلى رأسهم صالح جوهر [69].

---

(63) لم يكن الهجوم على القناصل الغربيين في جدة هـ, المرة الأولى بل سبق التعدي عليهم في أعوام 1841 و1851 و1856، وقُتل القناصل الغربيون أو نواب القناصل خلال ثورة 1858 وفي هجوم مستهدف عام 1895. راجع/ Riedler, The City, P220

(64) Suonpää, Mika and Owain Wright, Diplomacy and Intelligence in the Nineteenth-Century Mediterranean World,uk,2019,p137.

(65) Jeddah, the Scene, pp.79-80.

(66) Jeddah, the Scene, pp.79-80.

(67) سنان معروف أوغلو: نجد والجاز في الوثائقي العثمانية الأحوال السياسية والاجتماعية في نجد والحجاز خلال العهد العثماني، دار الساقي، لبنان، 2002، ص61؛ تقرير حول التطورات التي أعقبت حادثة مقتل قنصل كل من فرنسا وإنكلترا في جدة بتاريخ الثالث من شهر ذي القعدة سنة ١٢٧٤ هـ .

(68) حمدة بنت عبد الله المصعبي: السالنامة مصدرا من مصادر تاريخ الحجاز، دراسة تحليلية لسالنامة ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٦ م، دارة الملك عبد العزيز، 2018، ص53.

(69) تقرير حول التطورات التي أعقبت حادثة مقتل قنصل كل من بريطانيا وفرنسا في جدة بتاريخ السادس من ذي القعدة عام ١٢٧٤ هـ من قيام سفينة حربية بريطانية بقصف مدينة جدة بالمدافع بهدف تسليم القاتلين اليها لمعاقبتهم في: سنان معروف أوغلو ، نجد والحجاز في الوثائق العثمانية، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠ م)، ص،٦ .

اتفق معظم المؤرخين على الربط بين فتنة جدة وما حدث فيها من قتل الأجانب وبين ثورة السيبوي في الهند عام 1857[70].

وكتب أحد محققي البريطانيين عم تلك الحادثة بأن أحد شيوخ مدينة دلهي وستون من أتباعه[71]؛ كانوا المحرضين على المجزرة[72] ، كما أفادت إحدى الدراسات أن التجار الحضرميين ممن ينتمون إلى أصول هندية وغيرهم قد لعبوا دورًا مهمًا في اشتعال تلك الفتنة، حيث يرتبطون باتصالات ثقافية وتجارية وثيقة مع الهند، مما كان من شأنه أن يسهل تفاعلهم مع المنفيين الهنود، والثوار الهنود والحجاج المسافرين إلى جدة[73].

وأشارت بعض التقارير البريطانية إلى أن البحارة الحضرميين ينشرون بحماس أخبار جدة، والقيام بمحاولة لإثارة تمرد مماثل بين سكان ميناء السويس[74]. كما أشارت السلطات البريطانية إلى أن أنصار المسلمين الهنود في كل بقعة من أرض الإسلام عملوا من أجل مقاومة الإمبريالية وكونت شبكات دولية نشطه للمسلمين والتجار والأعضاء والعلماء، الذين نزح عديد منهم بسبب تقدم المصالح الأوروبية في الهند، وذهبوا لأداء فريضة الحج في مكة، واستقروا بعد ذلك في عدن والحجاز ومصر وسوريا وإسطنبول[75]، كما قدمت مجلة أخبار لندن المصورة خبرًا بعنوان " القبض على زعماء مذبحة جدة" جاء فيها أن السفينة "جابري Gabari" وصلت إلى السويس قادمة من جدة في 12 نوفمبر ، وجلبت معها معلومات استخباراتية تفيد بأن زعماء المذبحة آمنون في السجن، ومن بينهم عدد من الشخصيات المهمة في جدة، وبعضهم من التجار الهنود الأثرياء ، واستطردت المجلة بأن أغلب زعماء الفتنة كانوا من كبار التجار الهنود في جدة، والذين تمكنوا من

(70) Mika Suonpää and Owain Wright , Diplomacy and Intelligence in the Nineteenth-Century Mediterranean World ,uk,2019,p137.

(71) Low, Empire of the Hajj, p83 – 84.

(72) Perth Gazette, Les grands , p.3.

(73) Frere, Sir Bartle, former Governor of Bombay and Member of Council of India, to Foreign Office, 28 May 1873 (in Indian National Archives) For. Dept. Proc., Pol. A., no. 302, Mar. 1874, cited in Roff, “Sanitation and Security,” 147.

(74) F.O. 424/18, inclosure no. 3 in no. 12, 5 Jul. 1858.

(75) Low, Empire of the Hajj, p83 – 84.

فداء أنفسهم والنجاة من الإعدام، وأن التحقيقات تمت تحت الضغط والتهديد مما أسفر عن قتل الأبرياء[76].

وقد انتشرت الإشاعات في الأوساط البريطانية أن بعض الرعايا البريطانيين المتسببين في الفتنة فروا من العقاب[77]،

وتدعم الإحصائيات السكانية أيضًا هذا الادعاء أنه بحلول ستينيات القرن التاسع عشر، قدر القنصل البريطاني في جدة أن هناك ما لا يقل عن 10.000 هندي يعيشون في شبه الجزيرة العربية، وهو ما يمثل ارتفاعًا ملحوظًا عن تقديرات ريتشارد بيرتون خلال العقد السابق، ومن بين هؤلاء المهاجرين إلى شبه الجزيرة العربية أعداد متزايدة من الأفغان والهنود الذين مروا بتجارب مريرة نتجت عن سنوات من القتال ضد البريطانيين، ومن خلال الاختلاط مع المجتمعات التجارية الحضرمية في موانئ البحر الأحمر، قدم هؤلاء المهاجرون عنصرًا متقلبًا مناهضًا للإمبريالية ومعاديًا للمسيحية، مما أسهم في المذبحة في جدة وأحداث لاحقة في دمشق والإسكندرية وحتى خارج موانئ البحر الأحمر[78].

استشعر المسؤولون البريطانيون في الهند الأبعاد البعيدة المدى للمسلمين الهنود في الشتات وبخاصة في جدة ومكة، وتمتعوا بهذا النوع من المقاومة ، وكما لاحظ السير بارتل فرير"حاكم بومباي، أن "الحج يمثِّل الملجأ الطبيعي للمسلمين المتعصبين المنفيين من الهند، وأضاف أنه على الرغم من أن عديدًا من هؤلاء المنفيين يمضون حياتهم في جو ملائم من التعصب، فإن تأثيرهم القوي لا يمكن تجاهله بأمان سواء في عدن أو جدة[79]، كما لا يمكن استبعاد تأثر تجار جدة وبخاصة الهنود منهم بعد أن أشيع أن شركة أجنبية للسفن البخارية تسعى إلى احتكار شؤون الملاحة بمساعدة بعض تجار المدينة

(76) Apprehension of the Ringleaders of the Jeddah Massacre, Illustrated London News, Op. Cit, p.532.

(77) Low, Michael Christopher; The Mechanics of Mecca: The Technopolitics of the Late Ottoman Hijaz and the Colonial Hajj, Phd Thesis, COLUMBIA UNIVERSITY , 2015, .P.272.

(78) أشارت بعض المصادر البريطانية أنه كان يوجد بمصر آلاف الشخص يقيمون في القاهرة وقد زاد هذا العدد على إثر ثورة السيبوي عام 1857 ومعظمهم من المنفيين ورجال الدين الذي شاركوا في الثورة الهندية عاشوا في القاهرة والمدن النائية عملوا على إحداث تمرد بين الفلاحين عام 1865.

(79) Low, Empire of the Hajj, p83 – 84

وأثريائها[80]، نتج عن ذلك هيمنة السفن الأجنبية البخارية على حركة نقل البضائع بالميناء ومزاحمة أصحاب السفن من التجار من أهل جدة وبخاصة أصحاب الشراعية من الهنود مما أدى الى زيادة كراهية الحجازيين للأجانب[81]، فجاءت تلك الحادثة لتشعل فتيل الغضب في جدة حيث تأثر أصحاب المراكب الشراعية من الهنود بإحلال السفن البخارية محل السفن الشراعية التي كانوا يمتلكونها[82]. وكذا تدهور أحوال بعضهم الاقتصادية وبخاصة الذين يعملون منهم في تجارة الرقيق أو نقلهم الى جدة[83]، ، فيذكر أنه عندما حاولت الدولة العثمانية كسب ود الدول الأوروبية وبخاصة بريطانيا التي كانت تقف بجانبها طوال فترة حرب القرم 1853 – 1856م فإنها أرسلت الى كل ولاتها بمنع تجارة الرقيق في جميع أنحاء الولايات العثمانية ارضاء لبريطانيا وعليه تأثر بعض التجار الهنود المقيمين في جدة بهذا القرار[84]

وأخيرا يمكن القول: إنَّ السفينة الهندية التي دار حولها الخلاف كانت لتجار أثرياء هنود يقيمون في جدة وكانوا من المؤيدين للثورة الهندية، وربما كانوا يمدون الثوار في الهند بالسلاح والمؤن، وهذا ما دفع السفينة الحربية "سيكلوبس Cyclops" إلى مطاردة السفينة الهندية واللحاق بها في ميناء جدة، إذ ليس من المعقول أن تتواجد سفينة حربية في جدة مصادفة، وتتوقف لتتابع تفاصيل الأزمة بالتفصيل، فتحرك السفن الحربية البريطانية يتم بشكل دقيق، وبناءً على تعليمات وليس مصادفة كما تشير بعض الروايات.

وإثر إدراك السفينة الهندية لملاحقة السفينة البريطانية لها طلبت الأولى اللجوء السياسي ورفعت العلم العثماني، ولم يتم بيعها كما تذكر الروايات، فبيع السفن وشراؤها أمر وارد في التجارة، وليس من المعقول أن يتدخل القنصل البريطاني من أجل منع بيع سفينة وتغيير علمها، والراجح أنها طلبت اللجوء السياسي والحماية العثمانية، وهذا ما دفع القنصل البريطاني للتدخل، وقد أثارت هذه الأزمة التجار الهنود في جدة، وكذا من تربطهم علاقات

(80) Freitag's, Urlike; Indian Ocean Migrants and State Formation in Hadhramaut: Refroming the Homeland (Leiden: Brill, 2003), 52-53, 199-208

([81])Ochsenwald, William , Religion, Society, and the State in Arabia The Hijaz Under Ottoman Control, 1840-1908 , USA,p142

(82) محمد صادق دياب: فتنة جدة، جريدة الشرق الأوسط، ع11442، بتاريخ 27 مارس 2010م/10 ربيع الثاني 1431هـ.

(83) Riedler, The City, p.221.

([84]) العماري، وعبد الله: فتنة ، ص 113.

تجارية بهم من أمثال "صالح جوهر"، فمن الطبيعي أن يتضرر التجار الهنود وتجار جدة من بريطانيا بسبب القيود التي فرضتها بريطانيا على حركة التجارة مع الهند إبان إشتعال الثورة الهندية 1857 – 1858 وذلك لقمعها.

4- الهنود والحج والأوبئة:

ارتبطت الأوبئة في الحجاز طوال القرن التاسع عشر الميلادي بالفقراء المعوزين من الهنود المسلمين الذين دأبوا على الحج إلى مكة والمدينة والتي زادت أعدادهم هناك، فقد ظهر وباء الطاعون لأول مرة في الحجاز عام 1821 بعد أن ظهر عدة مرات في نجد قادما اليها من الهند عبر الخليج العربي(85).

فكان – سهل نهر الجانج –بالهند مصدرًا لوباء الكوليرا الذي لم يقتصر على تدمير سكان شبه الجزيرة العربية الحجاج (والمستوطنين)، عندما تم جلبهم عن طريق البحر من كلكلتا أو بومباي، بل انتشر أيضًا الى أوروبا وحتى إلى الأمريكيتين(86)

وعليه أعد البعض الحجاج الهنود مساهمين بشكل كبير في انتشار الكوليرا، فمنذ عام 1821، تم العثور على الكوليرا في جدة، و خلال موسم الحج عام 1831 مات حوالي 20 الف شخص ، وعاد المرض في الأعوام 1841، 1847، 1851، 1856، 1859 و1865(87).

وقد خلصت إحدى الدارسات إلى أنَّ الوباء الذي انتشر في الجزيرة العربية طوال القرن التاسع عشر والذي ظهر قرابة أربعين مرة كان مصدره الهند(88).

على إثر استخدام السفن البخارية التي حلت محل السفن الشراعية زادت أعداد الحجيج من الفقراء الهنود الحاملين للأوبئة (للكوليرا والطاعون)؛ وذلك لأنها الأرخص

(85) Proust, A.A., Essai SUF Pkygibv international,.,Avet me (am izdiiptmi la marcke dts ipidbmts de thol&a par le$ routes dcttrrtttia-txne maritime* Paris, 1873,45. Proust speaks of the 1865epidemic as 'inaugurating1 the maritime route (p. 258), and he concludes, 'It is established, without question, that every time cholera has shown itself in the Heiaz it has been in consequence of the pilgrimage to Mecca and that it has always been preceded by the arrival of Indian pilgrims* (285-286).

(86) RX, Playfair, A history of Arabia Felix and Yemen, Bombay, 1859,P.14.

(87) Suonpää, Diplomacy, Op. Cit, p138.

(88) Low, Empire of the Hajj, Op. Cit, p274.

والأسرع والاكثر أماناً[89]على الرغم من أن الأجيال السابقة من الحجاج الهنود كانت مقتصرة بشكل أساسي على نخبة المسؤولين والتجار الأثرياء والعلماء[90]

لقد اعتادت السفن البخارية حمل 1500 حاج هندي على الأقل بالإضافة الى عدد أفراد طاقم السفينة الذى يتراوح ما بين 100 و150 فرد من العاملين على السفن البخارية[91] حتى أصبحت مكتظة بهؤلاء المعوزين[92]، وقد علق هنتر Hinter المدير العام للإحصاء في حكومة الهند بازدراء إلى أن حشود الحجاج في الهند لا تهتم كثيرًا بالحياة أو الموت كما "أنَّ إهمالهم يعرض حياة الآخرين الى الخطر[93] ".

أدى الازدحام الشديد على السفن إلى وجود مناخ جيد لانتشار الوباء بينهم (الحجيج) وبعد هبوطهم في جدة سرعان ما تنتشر الأوبئة بين جموع الحجيج في مكة والمدينة، وفوق ذلك لم يقيم الفقراء الهنود أثناء وجودهم في مكة والمدينة في مساكن خاصة بهم، بينما أقاموا في الشوارع[94] وقد علقت إحدى الصحف البريطانية على ذلك بقولها" إنَّ أكثر ما يبعث على الانزعاج للعين الإنجليزية هي حشود الهنود المساكين الذين يتناثرون في الشوارع، هؤلاء الهنود هم الحجاج الذين عادوا من مكة، لكنهم يحتاجون الى الأموال لعودتهم لبلادهم ، وأثناء وجودهم في الحجاز يعيشون على الصدقات[95] ، وأكد ذلك شارل ديدييه في أثناء زيارته للحجاز في خمسينيات القرن التاسع عشر[96]،في الوقت عينه قدم العثمانيون للحجاج الأثرياء والعلماء ضيافة واسعة النطاق وخففوا من أي قيود رسمية على حركتهم، لكن في الوقت نفسه إستخدمت القوانين لمكافحة تزايد الحجاج الفقراء والمعوزين من الهنود [97].

---

(89) Luc Chantre , Le pèlerinage à La Mecque à l'époque coloniale (v. 1866-1940) : France – Grande-Bretagne – Italie , PhD Thesis , Université de Poitiers , 2012, p 138.

(90) Low, Empire of the Hajj, p274.

(91) باجمعان، الدور ، ص ص 66-67.

(92) Roff, William R; Sanitation and Security: The Imperial Powers and the Nineteenth Century Hajj , Arabian. Studies VI (1982), p145.

(93) Low, Empire of the Hajj, p274.

(94) Roff , Sanitation, p145.

(95) Illustrated London News ; p.1.

(96) ديدييه: رحلة ، ص175

(97) Riedler, The City,. P. 218.

بعد أن تقطعت السبل لعودة الهنود المعوزين من الحجاز إلى الهند واستمرار بقائهم في شوارع الحجاز مدة طويلة ، ومع غياب أنظمة الصرف الصحي واختلاط مخلفات الذبح وارتفاع درجة الحرارة في وجود رياح عرفت بالسموم في فصل الصيف وغير ذلك أدى ذلك إلى انتشار عدوى الكوليرا [98].

وتوجد شريحة أخرى من الفقراء الهنود استطاعوا تأجير مساكن للإقامة فيها بعض من الوقت بيد أنها كانت مكتظة بهؤلاء مما يزيد من انتشار العدوى، وفي هذا الصدد يذكر تشارلز دوتي وصفًا للخطر الصحي الذي يتبب فيه الفقراء الهنود في الحج: "إنَّ معسكر مكة يقف بعيدًا جدًا في الخارج؛ يضطر جموع الأجانب الفقراء إلى السعي لاستئجار مساكنهم داخل المدينة المقدسة؛ لذا ولأطول فترة، يتواجدون هناك متجمعين معًا في مساحة صغيرة جدًا، ومعظمهم من الذين أضعفتهم رحلاتهم الطويلة ويجلبون معهم جراثيم المرض [99].

وللحد من أعداد الفقراء الهنود وغيرهم في الحجاز، قدمت السلطات العثمانية في أواخر أربعينيات القرن التاسع عشر مقترحات تقضي بضرورة حمل الحجيج لجوازات سفر، ولكن السلطات البريطانية رأت أنه لم تكن هناك حاجة الى جوازات سفر من الحجاج القادمين من الأراضي البريطانية (الهند)، وأقنعوا العثمانيين بإعفاء جميع الرعايا البريطانيين من حمل جوازات السفر وكان ذلك السبب الرئيس في زيادة أعدادهم في الحجاز [100].

على إثر ظهور الطاعون والأوبئة المختلفة بين الحجاج اعتمدت السلطات العثمانية بتوجيه من قوى أوروبية مختلفة تدابير تقييدية على مواقع معينة تتراوح بين تنظيم الممارسات الدينية وتفريق الحجاج في حالة الإبلاغ عن حالة الطاعون أو الكوليرا[101] .

على الرغم من أن البريطانيين أدركوا خطر التخريب السياسي الذي ينطوي عليه الحج، الا أنهم كانوا يخشون أن يؤدي التدخل المباشر في هذه الممارسة الإسلامية الأساسية إلى ردة فعل عكسية في الهند، وخلال ذروة عصر الكوليرا من ستينيات الى

---

(98) مترك بن تركي بن درع السبيعي: الأوضاع الصحية في الحجاز من خلال كتابات الرحالة الروس في القرن 13-14هـ- 19-20ممشاهدات مختارة، المجلد 22- العدد 2، مايو 2020، ص 159.

(99) Chantre , Le pèlerinage , pp 140 – 142.

(100) Low, Empire of the Hajj, p274.

(101) Chantre , Le pèlerinage , pp 138 – 14.

تسعينيات القرن التاسع عشر وضعت هذه الاعتبارات بريطانيا في مواجهة مباشرة مع السياسة الصحية الإصلاحية التي فرضتها بقية أوروبا والدولة العثمانية. وكانت مخاوف بريطانيا ذات أبعاد عدة تتمثل في :

1. خشت بريطانيا من أن يؤدي تقييد عملية الحج إلى إثارة غضب رعاياها المسلمين.
2- رأت بريطانيا عدم التدخل في الشؤون الدينية، وهو نتيجة مباشرة لثورة السيبوي وإعلان الملكة فيكتوريا عام 1858 بشأن احترام الحرية والعادات الدينية.
3- خشيت بريطانيا من أن تهدد إجراءات الحجر الصحي الصارمة التدفق الحر للتجارة بين الهند وأوروبا. ونتيجة لذلك، نفى المسؤولون البريطانيون بإصرار مجموعة من الأدلة العلمية والإجماع الدولي على أن الكوليرا مرض معدٍ.
4- كانت بريطانيا مترددة في الخضوع لأي اتفاقيات دولية من شأنها أن تعزز قدرة الدولة العثمانية على إدارة الحج بفعالية، أو فرض سيادتها في شبه الجزيرة العربية، أو ممارسة المزيد من النفوذ الإسلامي على الرعايا المسلمين في المستعمرات البريطانية[102].

وهكذا عرقلت بريطانيا لمدة ثلاثة عقود الجهود الدولية لفرض قيود الحجر الصحي المصممة للحد من عدد الحجاج المعوزين والمصابين.

وفي عام 1865 ضربت الحجاز موجة شديدة من الكوليرا قادمة من الهند عبر السفن والبواخر البريطانية ، فقبل وصول السفينتان البريطانيتان "بيرسيا Persia و نورث ويند North Wind وعلى متنها عدد من الحجاج الهنود الى جدة كانت الكوليرا قد انتشرت بين الركاب مما أسفر عن وفاة 143 حاج[103]، وعلى الرغم من انتشار المرض بين الحجاج على متنها الا أن ربابنة السفن عند وصولهم الى ميناء جدة أبلغوا كذبا أنه لم يتم اكتشاف أي حالات مرضية بين الحجاج ، ومع نزول السفن الى ميناء جدة انتشر الوباء بسرعة كبيرة بين الحجاج مما أدى الى وفاة ما بين 15 ألف و 30 ألف حاج من أصل 90 ألف حاج في ذلك الموسم ، وبالرغم من ذلك الا أن الوباء كان في مراحله

(102) Low, Empire of the Hajj, p271.

(103) Peters , John Charles , Notes on the origin, nature, prevention, and treatment of Asiatic cholera , New York , 1867 , p 172

الأولى[104] ، فعقب عودة الحجاج من جدة إلى ديارهم، انتشرت الكوليرا في أوروبا وغيرها[105]، وتسببت في وفاة 200 الف شخص في جميع أنحاء العالم[106]

أدى ذلك إلى أن تغيرت وجهة النظر البريطانية فتدخلت في أنشطة الحج، وتنظيم حركة الحجاج على متن البواخر وبالتالي الحد من انتقال الأمراض، وأفاد مفوضو الكوليرا البريطانيون في عام 1866م أن هذه الأوبئة كانت تنشأ دائمًا في الهند، ووجه المؤتمر الصحي الدولي الذي انعقد في إسطنبول في العام نفسه الى ضرورة ربط التدابير الوقائية لحماية أوروبا من الكوليرا بوقف تطورها في الهند في المقام الأول من خلال الحجر الصحي البحري الذي لعب دورًا مهمًا ومثيرًا للجدل في بريطانيا(107)، كما دعا المؤتمرون في إستانبول الحكومات الإقليمية إلى زيادة فرض القيود المتعلقة بالصرف الصحي على الحجاج المسلمين(108). كما حثت مسئوليها في مكة والمدينة على نظافتهما، وإجبار الفقراء والمعوزين ومعظمهم من الهنود على الإقامة ليلاً في المنطقة الداخلية، وتأسيس عنابر خشبية ذات تهوية بها للعجزة منهم(109).

وأصدرت حكومة الهند البريطانية عام 1870، أول قانون من بين العديد من قوانين سفن الركاب المحلية، حيث وضعت قيودًا على سفر الركاب بالبواخر، وبدأت بما وصفه البعض "التدخل غير المباشر" في الحج(110) ، وبعد أن اعترفت بريطانيا بأن الهند مصدر للأوبئة عادت من جديد لتنفي ذلك على إثر الخلاف السياسي الذي دار بينها وبين الدولة العثمانية حول الحرب الروسية العثمانية 1877 – 1878

حيث بدأ السلطان العثماني في تعزيز صورته في الاماكن الاسلامية المقدسة بعد أن فقد اجزاء من اراضيه خلال الحرب المذكورة، وبدأ في تشديد اجراءات الحجر الصحي على

---

(104) Chantre , Le pèlerinage , p 93

105 أدولف دافريل ، الجزيرة العربية المعاصرة : وصف حج عام 1865 ، ترجمة الشيخ أحمد المُنى ، إصدارات إي – كتب ، لندن ، 2022، ص 323

(106) Chantre , Le pèlerinage , p 93

(107) Slight, The British, P P. 73- 79.

(108) Roff , Sanitation, p143.

(109) أسمهان مصطفى توفيق خليل: التدابير الصحية في الحجاز في وثائق الأرشيف العثماني 1313-1310هـ/ 1893-1895م، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مج 32، ع2، 2020، ص ص 90-95.

(110) Roff , Sanitation, p143.

السفن القادمة من الهند بسبب زيادة شكوك السلطات العثمانية في مدى قدرة القوانين البريطانية على الحد من الكوليرا في جدة والحجاز [111]

لكن بريطانيا منذ عام 1879 حاولت بشتى الطرق التشكيك في الاتهامات التي وجهتها السلطات العثمانية بأن الكوليرا مصدرها الهند ، ومن أجل انكار أي صلة بين الحجاج الهنود وانتشار الكوليرا في جدة والحجاز قامت بارسال طبيب هندي مع الحجاج بهدف اثبات أن مكة وجدة هي الموطن الأصلي للكوليرا وليس الحجاج الهنود أو السفن القادمة من الهند وسعت بريطانيا الى اثبات أن الخطأ يقع على عاتق السلطات العثمانية التي عارضت أي تحسن في تحسين اجراءات الصحة العامة في جدة ومن أجل ذلك ساهمت بريطانيا في إنشاء مستوصف في جدة عام 1882 لعلاج الحجاج الهنود من أجل التهرب من اجراءات الحجر الصحي على السفن والحجاج القادمون من الهند [112]

وبعدما أشاعت بريطانيا أن الكوليرا موطنها الأصلي بلاد الحجاز وأن بئر زمزم وأضاحي الحجاج في منى هي مصدر تلك الأوبئة بدأ السلطان عبد الحميد الثاني بالاهتمام بالحالة الصحية بالحجاز وبناء المستشفيات وتشديد الرقابة الصحية في جدة وفرض رسوم ولوائح وجوازات السفر[113]، وتم إنشاء محطات الحجر الصحي في الطور في شبه جزيرة سيناء وجزيرة كمران في الطرف الجنوبي للبحر الأحمر [(114)] ، كما اتخذت السلطات العثمانية تدابير نظافة في الحجاز وبخاصة مناطق وجود الحجاج الهنود [(115)].

---

[111] Low, Empire of the Hajj, p271

([112]) Records of the Hajj : A Documentary History of the Pilgrimage to Mecca, VOLUME 3 , The Ottoman period (1814-1887), Archive Editions , London , 1993, p 607

([113]) السمو ، بشير حسن حسين ، السياسة العثمانية ، ص ص 182- 183

(114) Roff , Sanitation, p143.

([115]) Slight, The British , P P. 73- 79.

الخاتمة:

خلصت الدراسة الراهنة إلى:

- أنَّ إقامة الهنود بالحجاز يعود إلى رغبتهم في المقام الأول إلى الإقامة في مكة والمدينة وذلك لوجود المسجد الحرام والمسجد النبوي بهما، فضلًا عن خوف بعضهم من الاستبداد التي كانت تمارسه بريطانيا ضد المواطنين الهنود ونفي البعض الآخر منهم إلى خارج الهند حيث فضلوا الحجاز كملاذ آمن للإقامة بها.
- شكلت الجالية الهندية في الحجاز أكبر تجمع سكاني لهم خارج الهند، فعمل معظمهم في التجارة معتمدين على الهند كمصدر أساسي لمعظم السلع التجارية التي كانت محور لنشاطهم التجاري في الحجاز وخارجها فلم يخل سوقٌ من أسواق الحجاز إلا وكان به محلات يمتلكها الهنود أو يعملون فيها، كما قام هؤلاء بتصدير المنتجات الحجازية وغيرها التي تأتي إلى جدة من الشام ونجد ومصر إلى الهند وأقاموا بيوت تجارية لهم هناك .
- حقق التجار الهنود في الحجاز وبخاصة في جدة ثراء منقطع النظير بالنسبة لغيرهم من الأجانب وكان على رأسهم فرج يسر الذي عمل في أنشطة تجارية مختلفة حتى إنَّه كان يتدخل في القرارات السياسية معتمدا على إقراضه الأموال للدولة العثمانية .
- انصهر الهنود المقيمون في الحجاز في البوتقة الحجازية والتحموا في المجتمع الحجازي فيما عدا احتفاظهم بالزي الهندي واللغة الهندية، وأسهموا في الحياة الاجتماعية المختلفة وبخاصة في مجتمعي مكة والمدينة عن طريق وقف بعض الأراضي على الحرمين، وإنشاء العديد من المدارس هناك وأغدقوا عليها الأموال وأوقفوا الأراضي عليها للإنفاق على الطلاب والمدرسين...الخ.
- تأثر الهنود في جدة بأحداث ثورة الهند 1857 – 1858م حيث كان بعضم من العناصر الثائرة التي نفيت إلى جدة في الوقت نفسه تكاتف معهم الأثرياء من الهنود الذين تضرروا اقتصاديا من بريطانيا فلم يكن مقتل الرعايا الأوروبيين في جدة وعلى رأسهم نائب القنصل البريطاني إلا انتقاما من بريطانيا والجرائم التي مارستها في الهند إبان ثورة السيبوي (Sipoy) وضربها لمصالح التجار الهنود في جدة .
- كان فقراء الهنود من الحجيج يمثلون الشطر الآخر من الهنود في الحجاز فقد اعتادوا السفر لقضاء فريضة الحج، حاملين معهم الأمراض من الهند مصدر الأوبئة المختلفة إلى الحجاز ويعيشون فيها دون مأوى مما أعده البعض السبب الرئيس في انتشار

الأوبئة في الحجاز، وانتقالها إلى أوروبا ولم تتدخل بريطانيا في هذا الشأن حتى عام 1866م بعد وباء 1865م الذي تضررت منه دول أوروبا واعترفت بريطانيا أن الهند مصدرٌ للأوبئة، فحدت من سفر الفقراء المعوزين من الهنود ووافقت على إقامة الحجر الصحي لهم في كمران.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الوثائق غير المنشورة

- F.O. 424/18, Précis of Captain Pullen's Letter, Jidda to the Secretary of the Admiralty, inclosure no. 2 in no. 11, 25 Jun. 1858.

•تقرير حول التطورات التي أعقبت حادثة مقتل قنصل كل من فرنسا وإنكلترا في جدة بتاريخ الثالث من شهر ذي القعدة سنة ١٢٧٤ هـ

ثانيا الوثائق المنشورة:

- Records of the Hajj : A Documentary History of the Pilgrimage to Mecca, VOLUME 3 , The Ottoman period (1814-1887), Archive Editions , London , 1993

ثانيا: الرسائل الجامعية

1- العربية

•باجمعان، صابرين حسن علي: الدور الاقتصادي للهنود في مكة المكرمة 1803-1924م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 2022م.

•بشير حسن حسين السمو ، السياسة العثمانية تجاه ولاية الحجاز في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1293 – 1327 هـ / 1876 – 1909م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة آل البيت ، 2019م .

•عبد الحميد، آمال رمضان: الحياة العلمية في مكة (1115هـ - 1334هـ) – (1703م – 1916)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية عام 2006م.

2- الأجنبية

-Chantre Luc , Le pèlerinage à La Mecque à l'époque coloniale (v. 1866-1940) : France – Grande-Bretagne – Italie , PhD Thesis , Université de Poitiers , 2012

-Low, Michael Christopher,; Empire of the Hajj: Pilgrims, Plagues, and Pan-Islam under British Surveillance,1865-1926 , Master Thesis , Georgia State University , 2007.

-Low, Michael Christopher; The Mechanics of Mecca: The Technopolitics of the Late Ottoman Hijaz and the Colonial Hajj, Phd Thesis, COLUMBIA UNIVERSITY , 2015.

-ثالثا: المراجع العربية

-أبكر، عبد الله: صور من تراث مكة المكرمة في القرن الرابع عشر الهجري، دار المنار للطبع والنشر، د.م، 2004م.

-أغلو، سنان معروف: نجد والجاز في الوثائقي العثمانية الأحوال السياسية والاجتماعية في نجد والحجاز خلال العهد العثماني، دار الساقي، لبنان، 2002.

-البتنوني، محمد لبيب: الرحلة الحجازية، مكتبة المعارف، الطائف، د . ت .

-بوركهات، جون لويس: رحلات في شبه جزيرة العرب، ترجمة: عبد العزيز الهلابي، عبد الرحمن الشيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م.

-التميمي، عبد المالك خلف: الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، سلسة عالم المعرفة (71)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1983.

-دحلان، أحمد بن زينى: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام الى وقتنا هذا بالتمام، المطبعة الخيرية، مصر، 1305هـ.

-الدوداني، محمد محمود حمد، وشلبي، حسام السيد ذكي: العلاقات السعودية الهندية1947 – 2005م، دار طوروس الكويت، 2021م

-دييه، شارل: رحلة الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي 1854م، ترجمة: محمد خير البقاعيي، دار الفيصل الثقافية، الرياض،2001م.

-العماري، إبراهيم بن عطية الله السلم ، سماح علي عبد الله: فتنة جدة عام 1274 هـ = 1858م: دراسة وثائقية تحليلية مسالك للدراسات الشرعية واللغوية والإنسانية، العدد الثامن، 2020سبتمبر / صفر.

-المصعبي، حمدة بنت عبد الله: السالنامة مصدرا من مصادر تاريخ الحجاز، دراسة تحليلية لسالنامة ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٦ م، دارة الملك عبد العزيز، 2018.

-مغربي، محمد علي: أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة 1883-1980م، ج3، دار تهامة، المملكة العربية السعودية، د.ت.

-يوسف، أحمد محمد: النقود المتداولة في مكة المكرمة في العصر العثماني حتى نهاية القرن 12هـ/18م، كرسي الملك سلمان بن عبد العزيز لدراسات تاريخ مكة المكرمة، مكة المكرمة، 1436هـ.

رابعاً: المراجع الأجنبية

- Slight, John, The British Empire and the Hajj 1865–1956, USA , 2015.

- Riedler, Florian, Fuhrmann ,Malte, Lafi ,Nora i, Lafi Ulrike, Freitag , The City in the Ottoman Empire Migration and the Making of Urban Modernity , New York , 2010.
- Freitag, Ulrike , A History of Jeddah The Gate to Mecca in the Nineteenth and Twentieth Centuries ,UK, 2020.
- Blue L., Cooper J., Ross T., and Whitewright. J. (eds.), Connected Hinterlands: Proceedings of Red Sea Project IV; Held at the University of Southampton, September 2008, Society for Arabian Studies Monographs (London: Archaeopress, 2009),Jiddah: Port of Makkah, Gateway of the India Trade), p175.
- Illustrated London News (London, England): 24 July 1858.
- Richard, Burton: Personal Narrative of A Pilgrimage to AL-Madinah & Meccah, Vol. 1, London.
- Jeddah, the Scene of the Late Massacre, Illustrated London News: 24 July 1858.
- The City in the Ottoman Empire Migration and the Making of Urban Modernity , New York , 2010.
- Perth Gazette and Independent Journal of Politics and News (WA : 1848 - 1864): Friday 22 October 1858.
- South Australian Register (Adelaide, SA : 1839 - 1900): Saturday 13 November 1858.
- Suonpää, Mika and Owain Wright, Diplomacy and Intelligence in the Nineteenth-Century Mediterranean World ,uk,2019.
- Mika Suonpää and Owain Wright , Diplomacy and Intelligence in the Nineteenth-Century Mediterranean World ,uk,2019.
- Frere, Sir Bartle, former Governor of Bombay and Member of Council of India, to Foreign Office, 28 May 1873 (in Indian National Archives) For. Dept. Proc., Pol. A., no. 302, Mar. 1874, cited in Roff, “Sanitation and Security,”.
- Freitag’s, Urlike; Indian Ocean Migrants and State Formation in Hadhramaut: Refroming the Homeland (Leiden: Brill, 2003),
- Ochsenwald, William , Religion, Society, and the State in Arabia The Hijaz Under Ottoman Control, 1840-1908 , USA, .
- Peters , John Charles , Notes on the origin, nature, prevention, and treatment of Asiatic cholera , New York , 1867
- Proust, A.A., Essai SUF Pkygibv international,.,Avet me (am izdiiptmi la marcke dts ipidbmts de thol&a par le$ routes dcttrrtttia-txne maritime* Paris, 1873,45. Proust speaks of the

1865epidemic as 'inaugurating1 the maritime route , and he concludes, 'It is established, without question, that every time cholera has shown itself in the Heiaz it has been in consequence of the pilgrimage to Mecca and that it has always been preceded by the arrival of Indian pilgrims.

- RX, Playfair, A history of Arabia Felix and Yemen, Bombay, 1859.
- Roff, William R; Sanitation and Security: The Imperial Powers and the Nineteenth Century Hajj , Arabian. Studies VI (1982).

خامساً: البحوث والمقالات

أ) العربية:

-السبيعي، مترك بن تركي بن درع: الأوضاع الصحية في الحجاز من خلال كتابات الرحالة الروس في القرن 13-14هـ- 19-20ممشاهدات مختارة، المجلد 22- العدد 2،مايو 2020.

-العرابي، سعد، عبدالرحمن: جدة في كتابات رحالة غربيين في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز - الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد 20 ، العدد 1، 2012.

-النامي، نورة إبراهيم نامي: أثر النشاط التجاري على البيوت التجارية بجدة وعوامل استمرارها خلال الفترة الزمنية (١٢٥٦_ 1335 هـ / 1840_1916م، كلية دار العلوم - جامعة المنيا مجلة الدراسات العربية،2020.

-خليل، أسمهان مصطفى توفيق: التدابير الصحية في الحجاز في وثائق الأرشيف العثماني 1313-1310هـ/ 1893-1895م، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مج 32، ع2، 2020.

-دهيش، عبد اللطيف عبد الله: تقرير عن المؤسسات التعليمية في الحجاز في عام (1302هـ - 1884م) دراسة وتحليل، مداولات اللقاء العلمي السنوي لجمعية التاريخ والآثار، رقم المؤتمر (2) جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجي، الرياض، 2000.

-دياب، محمد صادق: فتنة جدة، جريدة الشرق الأوسط، ع11442، بتاريخ 27 مارس 2010م/10 ربيع الثاني 1431هـ.

–سنو، عبدالرؤوف: تطور الاتجاهات الإسلامية في الدولة العثمانية من التنظيمات حتى نهاية . السلطان عبد الحميد الثاني ، مجلة المنهاج ، السنة : الرابعة، 1996 م

–عبد العزيز، هشام فوزي: ملامح من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة 1788م من خلال "الرحلة الهندية الى الجزيرة العربية للمراد آبادي"، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، ع 4، مج2، جامعة طيبة، 2013م.

–قاسم، حمزة: المدينة المنورة في عيون الرحالة الغربيين، مجلة بحوث المدينة المنورة ودراساتها، ع 29، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، يونيو 2009م.

–محمد، إبراهيم عبد المجيد: ثورة الهند 1857 – 1858م، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد7، مايو 1987.

ب) الأجنبية:

–Illustrated London News (London, England): 24 July 1858

سادساً: مواقع الإنترنت.

•الرجل الثري فرج يسر وأحداث مجزرة المسيحيين، مقال منشور بتاريخ 18 يناير 2016م، متاح في:

http://historicjeddahbybassimarkook.blogspot.com/2016/01/blog-post_18.html

–Pétriat, Philippe. "Notables et rebelles. Les grands marchands hadramis de Djedda au milieu du xixe siècle." Arabian Humanities, International Journal of Archaeology and Social Sciences in the Arabian Peninsula, 1, 2013, https://journals.openedition.org/cy/1923